أدوات استعباد المجتمعات من خلال تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب

Tools of dominating societies through Tafsir "Fi Zilal Al-qur'an" by Sayyid Qutb

أ.د. عودة عبد عودة عبد الله*

جامعة النجاح الوطنية- فلسطين

Odeh74a@najah.edu

يوسف محمد محمود زقوت

وزارة التربية والتعليم- فلسطين

Yusefzaqoot234@gmail.com

اريخ الاستلام: 2021/09/21 تاريخ القبول 2021/12/22 تاريخ النشر 2021/12/31

ملخص

يعالج هذه الدراسة موضوع أدوات استعباد المجتمعات من خلال تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب، وعلاقتها بالواقع وخطورتها على الأمة، متبعا المنهج الوصفي والمنهج التحليلي.

وجاءت الدراسة في تسع مباحث، أولها التعريف بالاستعباد، ثم كانت بقية المباحث في بيان أدوات الاستعباد الثمانية التي بينها سيد قطب في تفسيره.

وقد توصلت الدراسة إلى أن تفسير سيد قطب أولى قضايا المجتمع أهمية كبيرة، وبذل وسعه لربط تفسير القرآن بقضايا الأمة، وأن قضية تحرير الشعوب من الاستعباد كانت من المحاور

* المؤلف المراسل

البارزة في تفسيره، وأن من أخطر أدوات استعباد الشعوب: تغييب الوعي، وتوظيف علماء السلاطين، وإشاعة الفاحشة، واستخدام المال والإعلام، ونشر الخرافات والشركيات، وغيرها.

الكلمات المفتاحية: التفسير، سيد قطب، في ظلال القرآن، مناهج المفسرين

Abstract

The purpose of this study is to discuss the issue of dominating (enslaving) societies through Fi Zilal Al-Qur'an interpretation by Sayyid Qutb, and its relationship to reality and danger to the nation, following the descriptive and analytical method.

This research came in nine sections, the first of which was the definition of enslavement, then the rest of the sections dealt with the eight tools of enslavement that Sayyid Qutb explained in his Tafsir.

The study concluded that Sayyid Qutb's interpretation of the issues of society is of great importance, and he exerted his effort to link the interpretation of the Qur'an with the issues of the nation and that the issue of liberating people from enslavement was one of the prominent axes in its interpretation. The most important tools of enslavement of people are lack of awareness, corrupt scholars, the spread of obscenity, the use of money and the media, the dissemination of myths and polytheism, and others.

Keywords: interpretation, Sayyid Qutb, in the shadows of the Qur'an (Fi Zilal Al-Qur'an)

المقدمة:

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وهاديا الى الله بإذنه وسراجا منيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حرّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما، فقال تعالى في الحديث القدسي:(يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا)[1]، وجعل القرآن كتاب هداية للبشرية، ونبراسا يضيء الطريق للأمة؛ فيوقظ به قلوبا غلفا، وأعينا عميا، وآذاناً صمّا، وأشهد أن سيدنا وقدوتنا محمدا رسول الله ﷺ، كان خلقه القرآن، القائل: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»[2].

يعد تفسير الظلال من أهم التفاسير التي أعلنت الحرب على الطغاة والمستبدين، وكشفت عن أساليبهم الخبيثة في استعباد الشعوب والمجتمعات، وعالجت كثيرا من قضايا الظلم في الحياة الاجتماعية، وبينت دور الإسلام في تحرير البشرية من كل ألوان العبودية، إلا العبودية لله. فجاء هذا التفسير ليركز على أن الإسلام منهج حياة، يرسخ العدل ويحرم الظلم، ويضمن

الحريات. أمّا الطغاة والمستبدين فقد تنكروا للفطرة السليمة ولمنهج الله القويم، فأرادوا غير هذا المنهج، ورسموا لهم منهجا آخر ظالما يقوم على الاستبداد والاستعباد للشعوب؛ ليحقق لهم ذلك من بسط نفوذهم والتحكم بمقدرات الأمة وخيراتها. فظاهرة الاستعباد للشعوب ليست مجرد حادثة عابرة في التاريخ وانتهت وانقضت، بل هي ظاهرة ما زالت تعاني منها شعوب الأرض المستعبدة، وهي ما زالت تجثم على صدورهم وتسومهم سوء العذاب.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث بكشف النقاب عن أدوات الاستعباد التي يستخدمها الطغاة والمستبدين لإحكام السيطرة على الشعوب المستضعفة، فيضع يده على الداء الذي يعاني منه معظم شعوب الأرض، والذي لا يكاد يخلو منه زمان أو مكان، ومما يزيد البحث أهمية أن الباحث قد تناول تلك الأساليب والأدوات من خلال كلام سيد قطب في تفسيره، الذي عالج كثيرا من قضايا الأمة بشكل خاص وفق منهج القرآن، وقضايا الإنسانية بشكل عام، مما يدل على صلاح أحكام القرآن لكل زمان ومكان.

أسباب اختيار البحث:

1) انتشار ظاهرة استعباد الشعوب وعدم التصدي لها والاكتفاء بإلقاء المسؤولية تجاه الحكام والطغاة

2) حاجة الأمة وشبابها إلى الوقوف على أهم أدوات الاستعباد للشعوب، وأساليب الطغاة في الصد عن سبيل الله، وكشف أساليبهم لتجنبها، وهو مدعاة للثبات على طريق الدعوة.

3) الرغبة في التعرف على أقوال سيد قطب عن أدوات استعباد المجتمعات وتحديدها، وهي قضية اجتماعية اعتنى بها القرآن كثيرا.

4) إبراز دور القرآن في علاج قضايا الأمة المختلفة وقدرته على مواكبة العصر والتجديد والإصلاح فيه، والسير بالأمة نحو العزة والنصر والتمكين.

5) المساهمة في خدمة كتاب الله لنيل رضا الله بإذنه سبحانه.

أهداف البحث:

1) بيان حقيقة الاستعباد في اللغة والاصطلاح كما بينها سيد قطب في ظلاله.

2) كشف ووصف أدوات الاستعباد التي يستغلها أعداء الأمة ويمارسونها ضد شعوبهم ووصفها من خلال كلام سيد قطب في تفسيره.

الدراسات السابقة:

1) رسالة ماجستير بعنوان" الظلم وأثره على الفرد والمجتمع في ضوء الكتاب والسنة" لدوخي بن زيد علي الحارثي. وإشراف أ. د عبد العزيز بن عبد الله الحميدي. جامعة أم القرى/ المملكة العربية السعودية/ 1407هـ.

2) رسالة ماجستير بنوان " إنكار الظلم في ضوء الكتاب والسنة" لمحمد إبراهيم أحمد سيف، وإشراف د. خضر سوندك. جامعة النجاح الوطنية/ 2007م.

3) رسالة ماجستير بعنوان" طغيان الحكام وخفة الشعوب(دراسة قرآنية موضوعية)" لعاطف محمد اللحام، جامعة دمشق.

4) رسالة ماجستير بعنوان"مقومات الشخصية الإسلامية وأساليب بنائها في فكر سيد قطب" لإيراهيم سليمان الزاملي/ إشراف د. حمدان عبد الله الصوفي: الجامعة الإسلامية- غزة/2006م.

منهج البحث:

اعتمدت في بحثي المنهج الوصفي والتحليلي، فقد قمت بتتبع أقوال سيد قطب في تفسيره عن الظلم والاستبداد والاستعباد، وحللت أقواله، فاستنبطت منه تلك الأساليب والأدوات التي يستخدمها الطغاة في كل زمان ومكان. ثم قمت بوصف تلك الأدوات مبينا خطورتها على الأمة. والبحث يعتمد كثيرا على المنهج الوصفي لتلك الأدوات.

مشكلة البحث:

ما معنى الاستعباد في اللغة والاصطلاح؟ وما معناه عند سيد قطب؟

وما الأدوات والأساليب التي يستخدمها الطغاة لاستعباد الشعوب والمجتمعات كما يرى سيد قطب في تفسيره؟

التمهيد: التعريف بسيد قطب وظلاله:

أولا: التعريف بسيد قطب

هو سيد قطب بن إبراهيم حسين شاذلي، وهو مفكر إسلامي ولد بقرية (موشا أو موشة) في أسيوط عام 1906م، تخرج من دار العلوم عام 1933م، وعين مدرسا للعربية، ثم وظف في ديوان وزارة المعارف، ثم أصبح مراقبا فنيا للوزارة، وأوفد إلى أمريكا (1948-1951)، في بعثة لدراسة برامج التعليم. مما جعله ينتقد البرامج المصرية ويراها من وضع الإنجليز وتخدم مصالحه، فطالب بتغييرها وصبغها بالصبغة الدينية، وعلى إثر ذلك ومع قيام الثورة (1952) قدم استقالته من عمله، وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين عام(1953م)، فترأس قسم نشر الدعوة وتحرير مجلتهم [3].

وكان واسع العلم والثقافة فقد درس الدين والتفسير والحديث والفقه، والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد السياسي ودرس السريانية والعبرية[4]، مما أهله أن يكون شعلة من العلم والبيان وقدوة في الهمة والعطاء.

تعرض لكثير من الابتلاءات والمحن ومنها السجن، فقد سجن في عام 1954م؛ بسبب مسرحية(حادثة المنشية) والتي اتهم فيها الإخوان المسلمون بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر، ومكث في السجن عشر سنوات استغلها بالكتابة والتأليف حتى أصبح رائدا للفكر الإسلامي المعاصر، ثم أطلق سراحه بعد تدخل الرئيس العراقي عبد السلام عارف، ولم يمكث كثيرا إلى أن عاد للسجن من جديد وبتهمة جديدة، وهي محاولة إسقاط حكم جمال عبد الناصر، وتخريب البلد فصدر فيه حكم الإعدام، وعجل في تنفيذه فكان في عام 1966م[5].

له مؤلفات عدة في الأدب والنقد والشعر والتربية والحركة والدعوة، ومنها: معالم في الطريق، ومقومات التصور الإسلامي، وهذا القرآن، والعدالة الاجتماعية في الإسلام وغيرها، ولعل من أشهرها وأهمها تفسيره في ظلال القرآن.

ثانيا: التعريف بظلال القرآن

يعد تفسير الظلال في طليعة كتب الشهيد سيد قطب وأوسعها شهرة وأكثرها طباعة، فلا نكاد نرى بيتا إلا وتحوي جنباته كتاب الظلال، وهو تفسير فريد لكتاب الله وحظي بمنزلة عالية في قلوب المسلمين فكثر فيه التأليف والكتابة من أبحاث علمية ودراسات قرآنية جامعية، اختصت في البحث عن فوائده، واكتشاف دُرره.

1) منهجه في التفسير:

قصد من تفسيره عرض القرآن الكريم بطريقة تكاد تكون خاصة به، وهذه الطريقة اشتملت على عرض آيات القرآن لمناحي الحياة كلها ونظمها من اقتصاد واجتماع وسياسة وغيرها، وإخراجه من ركام التعقيدات والاختلافات اللغوية والفقهية والتاريخية والأسطورية، فبدأ تفسيره للسورة القرآنية بمقدمة لها يستعرض فيها مقاصدها وأهدافها وغاياتها وأبعادها ومحورها العام، الذي ترتبط كل آياتها به، كما أنه حاول إبراز السمات الشخصية لتلك السورة، فهو يرى أن لكل سورة من سور القرآن شخصية مميزة ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات، ولها جو خاص يظلل تلك الموضوعات، وترتبط معها بقمة التناسق والجمال، مع إيقاع موسيقي جذاب إذا تغير فإنما يتغير لمناسبة موضوعية معينة[6]، وهو لا يُغفل في مقدمة السور الحديث عن مكيتها أو مدنيتها أو ما يتعلق بنزولها.

وبعد الانتهاء من المقدمة يقسم السورة إلى وحدات ومقاطع حسب موضوعاتها، وربما يبدأ الحديث عن الوحدة بمقدمة صغيرة يعطي فكرة إجمالية عنها، والموضوع الرئيس لها، ويربطها بالمحور العام للسورة. ثم يشرع بتفسير آيات كل مقطع مركزا على هداية القرآن، وخاصة في الجانب الدعوي والحركي والتربوي، وداعيا لوجوب الانشغال بالدعوة إلى الله، وتأسيس المجتمع المسلم، دون أن يغفل باقي المعاني، ولكن بحدود ودون إطالة، وهو يتجنب في تفسيره الوقوف عند المصطلحات اللفظية وتحليلها، ومسائل الإعراب والقراءات، كما أنه يتجنب الخلافات الفقهية والمماحكات اللفظية والمشادات الكلامية، ويتجنب أيضا الإسرائيليات بل إنه لا يُجيز الاستشهاد بها على التفسير للاستئناس، كما ويظهر في تفسيره الشدة والعنف في بعض آراءه، فاستغل ذلك بعض الجماعات وتحمّست لآرائه، دون التيقن وحسن الفهم عنه،

فضلّت وأضلّت، وبسبب أسلوبه الأدبي ظهر عنده إسهاب واستطراد في كثير من الموضوعات ولربما كرّر بعض المعاني والألفاظ في مواطن عدة، كما أن ألفاظه ومعانيه تأثرت أيضا بأسلوبه الأدبي، فكانت عباراته فضفاضة تحتمل عدة معان وتفسير؛ مما أوقعه في محلّ الشك والريب من تلك الألفاظ. رغم أنه لا تستهويه مخالفة المفسرين، مع إظهار لشخصيته في التفسير[7].

2) أهم ما تميز به الظلال:

غلب على تفسير الظلال المنهج الحركي الدعوي التربوي، وهو طابع مميز في تفسيره يقول صلاح الخالدي:" وإن سيد قطب في الظلال يُعتبر مجدّدا في عالم التفسير؛ لما أضافه من معان وأفكار حركية وتربوية على التفاسير السابقة، كما أن سيد في الظلال يُعتبر مؤسساً لمدرسة جديدة في التفسير هي(مدرسة التفسير الحركي)"[8]، وأساسها ومنطلقها هو القرآن الذي هو في نظر سيد قطب "كتاب هذه الدعوة، هو روحها وباعثها، وهو قوامها وكيانها، وهو حارسها وراعيها، وهو بيانها وترجمانها، وهو دستورها ومنهجها، وهو في النهاية المرجع الذي تستمد منه الدعوة – كما يستمد منه الدعاة – وسائل العمل، ومناهج الحركة، وزاد الطريق"[9]، فكان شديد الحرص على أن يجعل من آيات القرآن، مادة حية لاستنباط ما يحتاجه الدعاة والعاملون في حقل الدعوة الإسلامية، من دروس تربوية وعظات دعوية وتجارب حركية، وبيان لصفات الدعاة ومؤهلاتهم، وعقبات الطريق، ومعرفة مراحل الدعوة ووسائلها وغير ذلك.

ومما تميز به الظلال وركز عليه هو معجزة القرآن البارزة التي تكمن في أنه نزل ليواجه واقعا معينا لأمة معينة في فترة معينة وهو رغم ذلك ما زال يوجه الحياة الحاضرة لصلاحه في كل زمان ومكان، فكأنما يتنزل الآن لمواجهة الجماعة المسلمة لخصوم الدعوة وصراعها مع الجاهلية وفي معركتها مع النفس وخلجاتها في عالم الضمير، وكيفية التعامل معهم، والانتصار عليهم[10]. والذي يقرأ الظلال يفهم رسالة صاحبه ومقصده من تأسيس المجتمع الإسلامي، والذي ينطلق من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية في تأصيل مشاكل الأمة وطرح حلولها والنظر إلى الواقع التي تعيشه وحاجاتها.

ومما تميز به سيد قطب رحمه الله وكان له فضل السبق به وتفصيل خصائصه هو التصوير الفني في القرآن الكريم والتي خص له كتابا مستقلا، وقد عرفه بأنه "هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة"[11]. وقد طبق تلك النظرية في تفسيره وجسد المعاني المجردة في صور حية حسية متحركة، يعيش معها القارئ لحظة بلحظة، متخيلا مشاهدها ومتمثلا واقعها، مما يجعل ذلك أبلغ تأثيرا في سمعه وأعمق أثرا في نفسه، وقد أبرز سيد قطب هذا التصوير من خلال اللفظة القرآنية والتراكيب والإيقاع الصوتي في كثير من النماذج المتنوعة لا سيما مشاهد يوم الآخرة، والقصص القرآني والأمثال وبعض آيات الأحكام، وقد بين كثيرا منها في كتابه "التصوير الفني في القرآن" الذي كان أول ما كتب وأظهر فيه قضية الإعجاز البياني للقرآن الكريم كما رسمها وأبدعتها قريحته ونتائج أفكاره[12].

المبحث الأول: التعريف بالاستعباد

أولا: تعريف الاستعباد في اللغة والاصطلاح:

الاستعباد تأتي معناها من العبودية التي مصدرها (عبد) ولها أصلان في اللغة متضادان فالأول يأتي بمعنى الذل واللين، والآخر على الشدة والقوة والصلابة. فالمعنى الأول عند قولنا استعبده: أي اتخذه عبدا، وهو يقال للعبد المملوك لما يحمله من الذل واللين، ونقول طريق معبد أي مسلوك مذلل. وقيل في المعنى الثاني: هذا ثوب له عبدة: أي إذا كان صفيقا قويا، فالعبودية تحمل معنى الخضوع والتذلل كما جاء في المعنى الأول[13]، واستعبد على صيغة استفعل من صيغ الأفعال المزيدة حيث زيد على صيغة (فعل) الألف والسين والتاء وهذه الصيغة تفيد كما ذكر علماء اللغة عدة معان وهي: التكلف نحو(استكبر)، ومعنى الاستدعاء للشيء وتحصيله بالطلب نحو(استطعم)، ومعنى فعل أوصار نحو(استنوق الجمل)[14]، ونلاحظ من هذه الزيادة على الأصل(عبد) أنها جمعت كل المعاني التي تحدث عنها علماء اللغة، فالاستعباد للشعوب فيه تكلف وإجبار للأمة المستضعفة على الطاعة، والرضا بقوانين الطاغية، وهي لا تتحقق إلا

بالاستدعاء والطلب منهم على وجه التنفيذ والعمل، حتى تتحقق وتصبح واقعا ملموسا وشيئا مألوفا لدى تلك الشعوب. وهي بذلك قد جمعت كل المعاني اللغوية لها.

أما استعباد المجتمعات في الاصطلاح: ما يمارسه الطغاة والمجرمون ضد الشعوب من إحكام السيطرة عليهم وعلى خيرات بلدهم لتحقيق مآربهم الخاصة والاستفادة منها. وحتى يتحقق لهم هذا الغرض لا بد لهم من استغلال كل الطرق، وممارسة كل الأساليب والأدوات لإخضاع المجتمع وإذلال أهله.

ثانيا: تعريف الاستعباد عند سيد قطب:

يشرح سيد قطب معنى الاستعباد في أكثر من موضع ويبين معناه بأنه هو ما يمارسه الطغاة في سبيل الملك والحكم من ارتكاب أشد أنواع الجرائم وحشية وأبعدها عن معاني الإنسانية وعن الأخلاق والشرف والضمير، مما يسلب الإنسان خصائصه الأصيلة من حرية التفكر والنظر، وحرية الاعتقاد والفكر، فيجعله عبدا للمألوف راضيا به، وعبدا لما يملى ويفرضه عليه أهواء العبيد من أمثاله، فيغلق عليه باب المعرفة والتجديد والتطوير[15]. فالاستعباد عنده يحمل في معناه كل معاني الظلم والاستبداد وبشتى الطرق والوسائل مقابل البقاء على العروش.

المبحث الثاني: محاربة الإسلام أو تمييعه

نزل القرآن الكريم لإحقاق الحق ونشر العدل، وتخليص الناس من العبودية لغير الله، قال الله تعالى: **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}** [الحديد: 25]، وهذه الدعوة القرآنية لإحقاق الحق وإقامة القسط والعدل ما هي إلا تحريرٌ للشعوب من الاستعباد، وهو ما عبر عنه ربعي بن عامر بقوله: "الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"[16].

فالتوحيد في حقيقته تحرير للإنسان من أشكال الطغيان كلها، وكلمة (لا إله إلا الله) تحرير للبشرية من العبودية لغير الله بأشكالها كافة، التي منها العبودية للشيطان، أو للمال، أو للزعماء، أو للعادات والتقاليد...الخ، والتوحيد بهذا المفهوم إنما هو ثورة على كل طاغية

ومستبد، ولهذا كان الدين –بهذا المفهوم الصحيح– هو أعدى أعداء الطغاة، وهم يعلمون أنه لا يمكن استعباد الشعوب إلا بتغييب هذا الدين، أو تمييعه أو اختزال فهمه في مسائل ضيقة، ولهذا بين سيد قطب أن طبيعة هذا الدين لا تتغير ولا تتبدل، واضحة صلبة معالمه لا تقبل التمييع أو التحريف، وأعداؤه يستخدمون كل الوسائل والحملات التي لا تنقطع، والجهود التي لا تكل في سبيل تحريفه عن وجهته وتمييعه عن طبيعته، ولهذا فهم يسحقون كل طلائع الحيوية والنهضة والتقدم في كل مكان على وجه الأرض.[17]

وقد أفصح سيد قطب عن هذا المعنى في مواطن كثيرة من الظلال، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا، إن تفسيره في ظلال القرآن هو دعوة للثورة على الظلم والاستبداد والطغيان، وعدم الرضوخ لأفكارهم وسطوتهم، ومواجهتهم بالحق الذي يعتقدونه، وهو في هذا ينسجم مع الإسلام تمام الانسجام، ويوافق ما قاله الرسول ﷺ: (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، أو أمير جائر)[18].

ويرى سيد قطب أن الفهم الصحيح للربوبية دافع عملي لتحرير الإنسان من الاستعباد بأشكاله كافة، وتنحية الطاغوت عن تعبيد الناس له بإخضاعهم لشرعه وقوانينه وإذلاله لهم، يقول في ظلال قول الله تعالى على لسان موسى لفرعون: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [الزخرف: 46]، "إن إعلان ربوبية اللّه للعالمين هي بذاتها إعلان تحرير الإنسان. تحريره من الخضوع والطاعة والتبعية والعبودية لغير اللّه. تحريره من شرع البشر، ومن هوى البشر، ومن تقاليد البشر، ومن حكم البشر... ولم تغب على فرعون وملئه دلالة هذا الإعلان. إعلان ربوبية اللّه للعالمين، لم يغب عنهم أن هذا الإعلان يحمل في طياته هدم ملك فرعون. وقلب نظام حكمه، وإنكار شرعيته، وكشف عدوانه وطغيانه"[19].

ويقول أيضا في ثورة الإسلام ضد المستبدين والطغاة والعبودية لهم: "إن الإسلام كما قلنا إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد. فهو يهدف ابتداء إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان .. ثم يطلق

الأفراد بعد ذلك أحرارا – بالفعل – في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم – بعد رفع الضغط السياسي عنهم وبعد البيان المنير لأرواحهم وعقولهم"[20].

ويؤكد سيد قطب مرة بعد مرة، أن السبب الرئيس لاستعباد الشعوب ووقوعهم تحت سيطرة الطغاة، وسبب ذلهم وفقدانهم لإنسانيتهم وكرامتهم؛ هو غياب المفهوم الصحيح للدين، الذي يفرد الله سبحانه بالألوهية، ومن ثم يفرده بالربوبية والسلطان والحاكمية، وكذلك فسوق المحكومين عن دين الله والابتعاد عن منهج الله القويم في الحياة والدينونة له سبحانه[21]. فلا بد من إحياء جذوة المعنى الصحيح للدين وغرسه بالنفوس.

وبما أن الدين بمفهومه الصحيح، وإعلانه الصريح لتحرير الإنسان من كل ألوان العبودية كلها وأطيافها، والوقوف في وجه الطغاة والمستبدين، فإنه إذن يشكل خطراً على أعدائه، وعلى وجودهم وسطوتهم، ولذا تراهم إذا لم ينجحوا في تغييب هذا الدين واستئصاله، عمدوا إلى تمييع مفهومه، واختزاله في طقوس تعبدية، وشعائر لا أثر لها على أرض الواقع، تارة بوصف الإسلام بأنه لا علاقة له بشؤون الحياة، أو لا علاقة له بالسياسية، أو بتقريبه من الديانات الأخرى بحجة مرونته واستيعابه للجميع، أو بتغييب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو بتغييب الجهاد في سبيل الله، أو يتغييب مفهوم الحاكمية، وقد تحدث سيد قطب عن أثر غياب تلك المفاهيم في تشويه الإسلام، وفي غياب أثرها وفاعليتها في تحرير الإنسان، مما أدى إلى استحكام قبضتهم على الشعوب ودفع ضريبة الذل والهوان بعبوديتهم لهم. وأكتفي باقتباس واحد على كل منها:

● فعن أثر غياب مفهوم الحاكمية في استعباد الناس، يقول عند تفسير قوله عز وجل: **{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}** [المائدة: 44] يقول: "إن أخص خصائص الألوهية – كما أسلفنا – هي الحاكمية، الذي يشرع لمجموعة من الناس يأخذ فيهم مكان الألوهية ويستخدم خصائصها، فهم عبيده لا عبيد اللّه، وهم في دينه لا في دين اللّه، والإسلام حين يجعل الشريعة للّه وحده، يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة اللّه وحده، ويعلن تحرير الإنسان. بل يعلن «ميلاد الإنسان» .. فالإنسان لا يولد، ولا يوجد، إلا حيث تتحرر رقبته

من حكم إنسان مثله، وإلا حين يتساوى في هذا الشأن مع الناس جميعا أمام رب الناس .. إن هذه القضية التي تعالجها نصوص هذا الدرس هي أخطر وأكبر قضايا العقيدة .. إنها قضية الألوهية والعبودية. قضية العدل والصلاح. قضية الحرية والمساواة. قضية تحرر الإنسان – بل ميلاد الإنسان – وهي من أجل هذا كله كانت قضية الكفر أو الإيمان ، وقضية الجاهلية أو الإسلام"[22]. ولقد ركز كثيرا على إبراز هذه القضية المحورية في تفسيره.

● وعن الدعوات المغرضة في محاولة تقريب الإسلام للديانات الأخرى من اليهود والنصارى وخطورة تمييع الدين، على حسلب العقيدة، يقول سيد قطب: "إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة، باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية، يخطئون فهم معنى الأديان كما يخطئون فهم معنى التسامح. فالدين هو الدين الأخير وحده عند اللّه. والتسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي .. إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن اللّه لا يقبل دينا إلا الإسلام، وبأن عليه أن يحقق منهج اللّه الممثل في الإسلام، ولا يقبل دونه بديلا ولا يقبل فيه تعديلا – ولو طفيفا – هذا اليقين الذي ينشؤه القرآن الكريم وهو يقرر : «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ» .. «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» .. «وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ» .. «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ .. بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» .. وفي القرآن كلمة الفصل"[23].

● وعن أثر إلغاء مفهوم الجهاد في سبيل الله من مفهوم الدين، يقول: "وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى اللّه وحده. وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية، كل أولئك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان؛ لأن المتسلطين على رقاب العباد، المغتصبين لسلطان اللّه في الأرض، لا يسلمون في سلطانهم بمجرد التبليغ والبيان. وإلا فما كان أيسر عمل الرسل في إقرار دين اللّه في الأرض! وهذا عكس ما عرفه تاريخ الرسل – صلوات اللّه وسلامه عليهم – وتاريخ هذا الدين على ممر الأجيال... والذي يدرك طبيعة هذا الدين – على النحو المتقدم – يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف –

إلى جانب الجهاد بالبيان"[24]. إذن فلا بد من جهاد يقمع الجاهلية المتمثلة بهؤلاء السلاطين، ومنهجم في سيطرتهم على مقدرات الأمم والشعوب.

● وأما عن أثر المفهوم الخاطئ لهذا الدين وقضاياه والتي تظهر جليا عند بعض الفرق المتصوفة التي تحيط معنى الرحمة مفهوما خاصا لديها يشجع المرء للمعصية والولوج فيها؛ ليتذوق حلاوتها ويستشعر قيمتها، فهو لم يسلم لهم هذا الفهم الخاطئ؛ لأنه ليس من منطق الفطرة السليمة أن تقابل خلق الرحمة الإلهية بهذا السلوك المعوجّ مما يؤثر تأثيرا سلبيا على خلقه ودينه، وهو مدعوّ بأن يتخلق بخلق الرحمة في تعامله ويرى نفسه مغمورا برحمة الله رغم تقصيره وذنبه ومعاصيه، فالقلب الذي تدفعه الرحمة على المعصية هو قلب لم يعرف حقيقة الإيمان ولم يتذوق أثره في النفس[25].

● وعن أثر العلمانية في تضييع معاني الإسلام وتمييع حقائقه، وأسلوبها الخطير في إبعاد الناس عن غايات هذا الدين وأركانه، وعزله عن واقع الحياة بكل الوسائل والطرق وقد ذكر بعض محاولات الأجهزة الصليبية والصهيونية لطمس حقائق الإسلام وهدايته، من محاولة تفريغ المفهومات الدينية في أشكال جاهلية وتبديل للدين باسم الدين، ومحاولة إفساد الخلق وفطرتهم الأصلية الإيمانية، ومحاولة إلباس الجاهلية ثوب الإسلام لتظهر بشكل جميل مرغوب فيها، ومن ثم لتقوم بدورها الخادع والمنافق من الكيد للإسلام والمسلمين"[26].

فعندما يعجز هؤلاء الطغاة من محاربة الإسلام ومبادئه السامية الراقية، يلجؤون إلى محاربته سرا ببث تلك السموم في مفهومات الدين والشبهات التي تزغ القلوب بعد الهداية والإيمان، ولهذا نرى سيد قطب في تفسيره قد أفصح عن هذا الأسوب الخطير في محاربة الإسلام وتمييع مبادئه وأفكاره.

المبحث الثالث: محاربة الدعاة والمصلحين والتضييق عليهم

الدعاة للتوحيد هم دعاة لتحرير البشر من الاستعباد والاستبداد، ولذا يرى فيهم الطغاة خطرا عظيما، يتهدد عروشهم ويتهدد مصالحهم، ومن ثم يسخرون كل طاقاتهم لمحاربة الدعاة إلى الله، وهؤلاء الدعاة يمثلون حركات التحرر في المجتمعات التي مورست عليها ألوان

الأذى والظلم، ومن هنا لقيت مقاومة من الطغاة وصدوا عنها الجماهير وحاولوا تشويه صورتها بنشر التهم والأكاذيب من أجل التنفير عنهم؛ حتى تكون لهم الكلمة والسطوة على الشعوب.[27].

وإن دعوة الأنبياء والمرسلين والمصلحين والدعاة من بعدهم جاءوا برسالة واحدة خالدة وهي تمثل انقلابا على كل معالم الجاهلية وعلى جميع مستوياتها، وهذا مما لا يرضى به الطغاة والمستبدين، لما له من أثر في زوال سيطرتهم وتحكمهم في الشعوب، واستعبادهم لهم، فما من نبي إلا أوذي وحورب ووضع في طريق دعوته العوائق والابتلاءات والمحن، ولقد روى الترمذي عن النبي ﷺ عندما سئل عن أشد الناس بلاء فقال: "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة"[28].

ولهذا يرى سيد أنه كلما قام نبي من الأنبياء بالجهر بالدعوة إلى الله، قامت في وجهه الحكومات المسيطرة في عصره، التي تستغل خيرات البلاد والعباد ظلما وعدوانا، فصدته عن دعوته، ووضعت العراقيل والعقبات في طريقها، وما ذلك الحرب عليها وعلى أتباعها إلا لأنها تمثل انقلاباً اجتماعيا عالميا تقضي على مناصب العز والجاه لهؤلاء المستبدين الطغاة[29].

إن طبيعة الدعوة التي ينشرها دعاة التوحيد تتعارض مع مصالح المستبدين، ولهذا تستعر حربهم على الدعاة، يقول صاحب الظلال: "ولقد علم اللّه – سبحانه – أن الحكم بما أنزل اللّه ستواجهه – في كل زمان وفي كل أمة – معارضة من بعض الناس ولن تتقبله نفوس هذا البعض بالرضى والقبول والاستسلام .. ستواجهه معارضة الكبراء والطغاة وأصحاب السلطان الموروث. ذلك أنه سينزع عنهم رداء الألوهية الذي يدعونه ويرد الألوهية للّه خالصة، حين ينزع عنهم حق الحاكمية والتشريع والحكم بما يشرعونه هم للناس مما لم يأذن به اللّه .. وستواجهه معارضة أصحاب المصالح المادية القائمة على الاستغلال والظلم والسحت. ذلك أن شريعة اللّه العادلة لن تبقي على مصالحهم الظالمة... فهو يناديهم: «فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ»، فلا تقف خشيتهم للناس دون تنفيذهم لشريعة اللّه. سواء من الناس أولئك الطغاة

الذين يأبون الاستسلام لشريعة اللّه ، ويرفضون الإقرار – من ثم – بتفرد اللّه – سبحانه – بالألوهية. أو أولئك المستغلون الذين تحول شريعة اللّه بينهم وبين الاستغلال وقد مردوا عليه. أو تلك الجموع المضللة أو المنحرفة أو المنحلة التي تستثقل أحكام شريعة اللّه وتشغب عليها"[30].

وإن محاربة الدعاة إلى الله هي سنة من سنن الله في الكون قد سطرها القرآن الكريم في كثير من آياته؛ تسلية لقلب الرسولﷺ وصحابته وما كانوا يلاقوه في سبيلها، فمنها قوله تعالى: **{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}** [العنكبوت: 2]، وقوله تعالى: **{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ }** [البقرة: 214]، فكل هذه الآيات وغيرها جاءت لتأكد على تلك السنة الإلهية في مواجهة الدعوة والدعاة، من أتباع الرسل والأنبياء مما يثبت قلوبهم ويصبّرهم على ما يلاقوه من أذى الشرك والمشركين. ولقد دون التاريخ اضطهادهم وابتلائهم فصبروا وما وهنوا وما ضعفوا حتى علت كلمة الله[31].

المبحث الرابع: علماء السلاطين

ذكرنا في المطلب الأول من هذه الدراسة أن الطغاة والمستبدين يدركون خطورة الدين عليهم، وأن الدين بمفهومه الصحيح إنما هو ثورة على الظلم والاستبداد، ولهذا يسعون لمحاربة الدين، ولكنهم يعلمون أن الدين –خاصة في البلاد العربية والإسلامية– متغلغل في نفوس الناس، لا يمكن اقتلاعه، ولهذا يلجؤون إلى تمييع الدين، أو تقزيم مفهومه، وأداتهم الأولى للتلاعب بمفهوم الدين، هم علماء السلاطين، والذين يُعدون من المنظومة الإعلامية المضللة للمستبد والطاغية، فيقومون بتجميل الباطل، وتمرير الظلم الواقع على الشعوب وتبرير القتل والبطش والسجن لمن خالفوه، فهم العصا السحرية التي يمكنهم من خلالها أن يقنعوا الناس أن الدين لا يطالب المتدين بأكثر من صلوات معدودات وصيام وزكاة وحج، وأذكار وأوراد، أما أن يتدخل بالشأن العام وواقع الحياة، وأن يحارب المنكرات، وأن يقف المتدين في وجه

الاستبداد والظلم، فهذا ليس من الدين في شيء، وهكذا يتلاعب علماء السلاطين بمفهوم الدين، ويصوغون ذلك بفتاوى مضللة طمعا في تحصيل رضا الطاغية ونيل وده ومحبته وماله وبعض عطاياه.

ولعل خيانة العلم الشرعي واتباع العالم لهواه، والسير في هوى الخلق بمخالفة حكم الشرع من أعظم الكبائر وأكثرها عذابا عند الله؛ لما له من أثر في تضييع الدين وتشويهه، ونشر الفتنة والضلال في المجتمع، ولو أنهم أخصلوا دينهم لله وقصدوا بعلمهم وجه الله تعالى، لما وافقوا هؤلاء المستبدين الطغاة، لكن غايتهم كانت من العلم السمعة والمنصب، وقد أخذوها في الدنيا، واستحقوا عذاب الله في الآخرة، يقول النبي ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ "[32]، وهذا جزاء من لم يخلص في علمه لله، وتنكر لتلك الأمانة الملقاة على عاتقه في إحقاق الحق ونشر العدل، وإبطال الباطل ودحض حججه، فنطق لسانه ما ليس في قلبه، وراوغ روغان الثعلب بين النصوص والأدلة لعله يجد ضالته التي يرضي بها سيده فتمتلأ جيوبه.

فكلما كان العالم صاحب إخلاص في علمه، ولا يخشى فيه إلا الله أمن على نفسه تلك الفتن، وكان بعيدا عن الباطل وأهله لا يقاربهم ولا يجاورهم كان أسلم لدينه وعرضه، وقد حذر النبي ﷺ العلماء وغيرهم من لزوم بيت السلطان، فقال: "ومن لزمَ السُّلْطانَ افْتُتِن"، زاد:

"وما ازداد عبدٌ من السلطان دُنُوّاً إلا ازدادَ من الله بُعْداً"[33]، وفي حديث آخر يقول النبي ﷺ: "سيكون بعدي أمراء؟ فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد علي الحوض"[34]. وفي حديث آخر يقول ﷺ: "يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة، ووزراء فسقة، وقضاة خونة، وفقهاء كذبة، فمن أدرك منكم ذلك الزمن فلا يكونن لهم جابيا ولا عريفا ولا شرطيا"[35] فكل هذه الأحاديث والنصوص الشرعية تدعو الناس إلى الحذر من التعاون مع الحكام الظلمة والمستبدين لا سيما العلماء منهم؛ لما لهم من تأثير على الواقع وقدرتهم على تأليب الشعوب ضد الطغاة.

ولا يخلو مجتمع من علماء السلاطين، وتحدث سيد قطب عن الانفصال بين العلم والعمل لدى هؤلاء العلماء وخطورة ذلك وأثره في تبرير سياسة الباطل وتنفيذ مخططاته، فبين في ظلال تفسيره لقوله تعالى:**{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}** [البقرة: 44]، أن آفة هؤلاء العلماء أن الدين عندهم حرفة وصناعة يجلبون منه المال والجاه والسلطان، ويتزيفون به للحكام، ولم يعد الدين عندهم عقيدة حارة تدفع للعمل والتضحية، فتجدهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه، يحرفون الكلم والنصوص عن مواضعها ويأولونها خدمة لهواهم، فيجدون فتاوى تتفق مع ظاهر النص، لكنها تختلف مع حقيقة الدين وغاياته وواقعه، وما ذلك إلا لتبرير أغراض وأهواء أصحاب الملك والسلطان[36].

ويذكر سيد قطب أن الحكم بما أنزل الله، وتطبيق شريعته يحول دون أطماع المستبدين، فيتجهون عندها للعلماء المتاجرين بالدين، يطلبون منهم الفتاوى التي توافق أهواءهم ومصالحهم وطغيانهم، يقول رحمه الله: "... كذلك علم اللّه سبحانه أن بعض المستحفظين على كتاب اللّه المستشهدين قد تراودهم أطماع الحياة الدنيا وهم يجدون أصحاب السلطان، وأصحاب المال، وأصحاب الشهوات، لا يريدون حكم اللّه فيملقون شهوات هؤلاء جميعا، طمعا في عرض الحياة الدنيا – كما يقع من رجال الدين المحترفين في كل زمان وفي كل قبيل

وكما كان ذلك واقعا في علماء بني إسرائيل، فناداهم اللّه: «وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلًا» وذلك لقاء السكوت، أو لقاء التحريف، أو لقاء الفتاوى المدخولة! وكل ثمن هو في حقيقته قليل. ولو كان ملك الحياة الدنيا .. فكيف وهو لا يزيد على أن يكون رواتب ووظائف وألقابا ومصالح صغيرة يباع بها الدين ، وتشترى بها جهنم عن يقين؟!... والذين يحملون عنوان : «رجال الدين» يخونون ويفرطون ويدلسون ، فيسكتون عن العمل لتحكيم ما أنزل اللّه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، لموافاة أهواء ذوي السلطان على حساب كتاب اللّه .."[37].

وفي موضع آخر يبين سيد قطب استغلال هؤلاء الطغاة والمستبدين لبعض رجال الدين الذين احترفوه كمهنة لتحقيق مصالحهم الذاتية، وارتموا في أحضان الطغاة فيقول عنهم: "وهم يسلطون المحترفين من علماء هذا الدين عليه ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويحلون ما حرم اللّه ، ويميعون ما شرعه ، ويباركون الفجور والفاحشة ويرفعون عليها رايات الدين وعناوينه! وهم يزحلقون المخدوعين في الحضارات المادية، المأخوذين بنظرياتها وأوضاعها ليحاولوا زحلقة الإسلام في التشبه بهذه النظريات وهذه الأوضاع، ورفع شعاراتها، أو الاقتباس من نظرياتها وشرائعها ومناهجها! وهم يصورون الإسلام الذي يحكم الحياة حادثا تاريخيا مضى ولا تمكن إعادته، ويشيدون بعظمة هذا الماضي ليخدروا مشاعر المسلمين، ثم ليقولوا لهم – في ظل هذا التخدير – : إن الإسلام اليوم يجب أن يعيش في نفوس أهله عقيدة وعبادة، لا شريعة ونظاما، وحسبه وحسبهم ذلك المجد التاريخي القديم! هذا وإلا فإن على هذا الدين أن «يتطور» فيصبح محكوما بواقع البشر ، يبصم لهم على كل ما يقدمونه له من تصورات وقوانين"[38].

إن سياسة الاستعباد لا بد لها من وجود منظومة إعلامية تعزز دورها وتسدد رأيها وتجمّل صورتها، ومما لا شك فيه أن علماء السلاطين هم يشكلون أقوى أدوات تلك المنظومة، كما أن أصحاب الاحتراف في كل ميادين الحياة من إعلام وسياسة ومواقع هامة في الدولة كل ذلك مما يستغله الطغاة والمستبدين لتحقيق استعبادهم للشعوب، وقد ساق سيد قطب مثالا على أصحاب الاحتراف وهم سحرة فرعون الذين يمثلون جزءا من تلك المنظومة، ونلحظ من

كلامه أنه قد ساوى بين سحرة فرعون، وعلماء السلاطين، من حيث أن كلا منهم أداة من أدوات الاستبداد يستخدمها الطغاة، فالسحرة محترفون لمهنة السحر والكهانة، ولهذا طالبوا بالأجر، فقال تعالى:«**وَجاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ، قالُوا : إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ؟ قالَ : نَعَمْ ، وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**»، وهذه هي وظيفة المحترفين من رجال الدين في إقرار سلطان الطاغوت باسم الدين، ولهذا استحقوا المال والقرب من الحاكم، كما وعد فرعون السحرة بالمال والقرب منه، زيادة في إغرائهم، وتشجيعا لهم على خوض المعركة مع الحق[39].

وعند قوله تعالى: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}** [الأعراف: 175]، يرى سيد قطب أن هذه الآية تصدق وتنطبق على علماء السلاطين الذين انسلخوا من علمهم ودينهم، وأخلدوا إلى الهوى واتباع الشيطان، باستخدام علمهم في التحريفات المقصودة والفتاوى المطلوبة للحاكم الطاغية التي عن طريقها يثبت حكمه وسلطانه، الذي فيه اعتداء بين على سلطان الله وحكمه، فتجد بعضهم يحلون الربا وينشرون الفجور والفاحشة ويباركونها ويبررونها للأمة والمجتمعات وهم بذلك قد خلعوا رداء الدين والعلم عن كاهلهم.[40].

ومما لا شك فيه أن تفسير الظلال قد جلّى لنا خطورة هذه الزمرة من المجتمع، الذين يُعدون أبواقا للشياطين والطغاة، وهم يُستبدلون بين الفينة والأخرى، وما هم عند الله إلا مثالا للجبن والنفاق، بعد أن خلعوا عباءة الدين والعلم، وجعلوه وسيلة للكسب وبلوغ النزوات والشهوات، فخنعوا أمام القوة واستكانوا أمام الظلم واستجدوا الثري وداهنوا القوي.

المبحث الخامس: تغييب الوعي واغتصاب العقول

يعد العقل من أعظم النعم التي كرم الله بها الإنسان وميزه عن جميع مخلوقاته، وتكمن أهميته في أن الإسلام جعل حفظه من مقاصد الشريعة الخمسة، وحرّم كل ما يغيّبه من خمر وكل ما شابه، وكما أنه أسقط الواجبات على كل من فقده ووصف بالجنون، فرفع القلم والحساب عنه حتى يعقل.

ولكي يكون بناء الأمة وعلوها وحضارتها في أوجهها، لا بد من أن يأخذ العقل مكانه في بناء الوعي ودوره في التنمية والتطوير مما ينعكس على بناء المجتمع وتقدمه، وعندها يشعر هؤلاء الطغاة بالخطر الذي يحدق بهم جراء قوة العقل وجذوة الوعي لدى الشعوب ما يهدد كيانهم وسطوتهم. ولهذا كان لا بد من تغييب الوعي لدى الأفراد والمجتمعات والتي بدورها تُعد من الأولويات لكل طاغية مستبد ولكل ديكتاتوري ظالم.

ومن هنا يرى صاحب الظلال أن معنى الطغيان أساسا يرتبط بتغييب الوعي، فيقول: "والطاغوت صيغة من الطغيان، تفيد كل ما يطغى على الوعي"[41]. ولهذا نجد الطغاة يحرصون على تغييب الوعي واغتصاب العقول بكل الوسائل، تارة بإلهاء الجماهير بسفاسف الأمور، وتارة بالتلاعب بالمناهج والأفكار والمبادئ، وإبقاء الجانب التعليمي والمعرفي والثقافي لدى المجتمع في أردأ أحواله، وتارة بالتضييق على معاشهم وأعمالهم وأرزاقهم، حتى لا يتفرغ الناس للتفكير بشيء سوى لقمة العيش، وإذا غاب وعي الجماهير بحقوقهم تجاه حكوماتهم وحكامهم، وبحقوقهم في حرية اختيار من يحكمهم، وبحقهم في التعبير ومحاسبة الحكام، وبحقهم في الانتفاع بمقدرات البلاد وثرواتها، إذا غاب وعي الجماهير بهذه الأمور وغيرها، سهل على الطغاة استعباد شعوبهم؛ لأن العدو الحقيقي للأنظمة المستبدة هو وعي الشعوب وصحوة ضمائرهم ويقظة عقولهم.

ويتحدث سيد قطب عن سعي الطغاة لتغييب سبل المعرفة، وأخطرها تغييب المعرفة بحقيقة الدين وقيمه وموازينه، وذلك في ظلال قوله عز وجل: **{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}** [الزخرف: 54]، فذكر أنه حتى يسهل استخفافهم للشعوب وتلين قيادتهم لهم، فلا بد من عزلهم عن أسباب المعرفة والعلم كلها، وحجبهم عن حقائق هذا الدين حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها، وذلك بشتى الطرق والوسائل المصطنعة لتحقيق هذا الاستخفاف، فيصبح الشعب كالريشة في مهب الريح يذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال، فلا قرار لهم ولا ثبات، ولا يمكن للطاغية أن يفعل هذا بهم إلا إذا كانوا فاسقين لا يستقيمون على أمر الله، ولا يزِنون بميزان الشرع وبهذا علل القرآن استجابة الجماهير للطاغية فرعون[42].

وبهذا يكون سيد قطب قد أبرز أثر الفسوق والعصيان لله والابتعاد عن منهجه القويم في إحكام السيطرة على الشعوب واستعبادها، وهو بذلك قد وافق عبد الكريم الخطيب في تفسيره الذي بين أنه بسبب ما كانوا عليه من السفه والجهل وضياع العقل وتغييب الوعي فقد راجت بضاعة الطغاة، وانتشرت سحبهم القاتمة، وهذا الانتشار ليس مسئولية الطغاة وحدهم بل هي مسئولية الذين يرضون بالباطل ولا ينكرون عليه، ويستجيبون له، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منوط بكل أفراد المجتمع وجماعاته[43].

ولأن المؤمن الحق الواعي بحقيقة هذه الأمور يصعب استخفافه وخداعه، فإن أكثر ما يكرهه الطغاة هو الداعون إلى الوعي واليقظة، الحاملون لواء التغيير والإصلاح؛ لما لهم من خطر في تأليب الشعوب ضد استعبادهم وسياطهم، ولهذا يبين سيد قطب في تفسيره أن أخطر ما يواجهه الطغيان هو صحوة الضمير ويقظة الروح والتي تنتج على يد الذين يهزون تلك الضمائر الغافلة لتدب بها الحياة من جديد فهم يكرهونهم ويحاربونهم حتى تبقى الشعوب مخدرة صامتة[44].

ولمواجهة الحق وأتباعه والتضييق عليهم ونشر الإشاعات والشبهات عن منهجم وقدرتهم في إدارة الحياة والشعوب، لا بد للأنظمة المستبدة والطغاة من منظومة إعلامية قادرة على تغييب الوعي واغتصاب العقول لدى الشعوب، تخدم مصالحها الذاتية وتروّج للاستراتيجيات التي تستخدمها تلك الأنظمة المستبدة من أجل ترويض الأمم والمجتمعات وجعلهم مطية ذلولة الظهر لا تشتكي ولا ترفض ولا تثور. ومن النماذج القرآنية الحية التي حاول فيها هؤلاء الطغاة ومنظومتهم الإعلامية من قلب الحقائق لمصلحة عروشهم وقروشهم من إظهار الوجه الحسن للنظام الربوي وعده من أنواع البيع، فقال تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا}** [البقرة: 275]، يقول سيد قطب: "استطاعوا بما لديهم من سلطة هائلة مخيفة داخل أجهزة الحكم العالمية وخارجها، وبما يملكون من وسائل التوجيه والإعلام في الأرض كلها، سواء في ذلك الصحف والكتب والجامعات والأساتذة ومحطات الإرسال ودور السينما وغيرها، أن ينشئوا عقلية عامة بين جماهير البشر المساكين الذين يأكل أولئك المرابون

عظامهم ولحومهم، ويشربون عرقهم ودماءهم في ظل النظام الربوي، هذه العقلية العامة خاضعة للإيحاء الخبيث المسموم بأن الربا هو النظام الطبيعي المعقول، والأساس الصحيح الذي لا أساس غيره للنمو الاقتصادي... "[45]، إذن فلا بد من وجود تلك الأبواق التي تسبح بحمد الطاغية بعد أن ارتبطت مصالحهم بوجوده، وامتلأت جيوبهم منه ذهبا وأجرا، وهم قد احترفوا الكذب وصنعته، في قلب الحقائق وتزويرها، وفي تمجيد الباطل والتغني به وبأمجاده، والتفنن في الدفاع عن عرشه ووجوده، فهم محترفون في تحقيق ذلك، كما كان سحرة فرعون الذين احترفوا مهنة السحر؛ لمجابهة الحق الذي مع موسى عليه السلام، فقد سخّرهم فرعون لدحض معجزة موسى عليه السلام فهم من كهنة المعابد وهيأ لهم الأجر والثواب، ولقد حاولوا باحترافهم التضليل وقلب الحقائق، لكن القضية ليست في فن الاحتراف والصنعة بل في كونها معجزة ورسالة سماوية تتصل بالقوة القاهرة التي لا يقف أمامها سحرة أو طغاة مستبدون[46].

لكن أمر الله نافذ وماض، وانقلب السحر على الساحر، فها هو الطغيان يقف عاجزا عن تحقيق أهدافه إذا توفر الإيمان والوعي عند الشعوب، وعند استحكام الحق وحججه في القلوب فانقلب الأمر رأسا على عقب، فبعد أن كانوا يحاجّون موسى عليه السلام، ويحاولون الغلبة عليه، يؤمنون به ويصدقون رسالته، ويُمتحنون في إيمانهم ويثبتون على هذا الإيمان الذي تمكن من قلوبهم، مما انعكس واقعا في تضحياتهم بأرواحهم في سبيل الله، ويقول سيد قطب عن هذا الموقف من الثبات: "ويقف الطغيان عاجزا أمام الإيمان، وأمام الوعي، وأمام الاطمئنان .. يقف الطغيان عاجزا أمام القلوب التي خيل إليه أنه يملك الولاية عليها كما يملك الولاية على الرقاب! ويملك التصرف فيها كما يملك التصرف في الأجسام. فإذا هي مستعصية عليه؛ لأنها من أمر اللّه، لا يملك أمرها إلا اللّه وماذا يملك الطغيان إذا رغبت القلوب في جوار اللّه؟ وماذا يملك الجبروت إذا اعتصمت القلوب باللّه؟ ... إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية. بإعلان ميلاد الحرية الحقيقية. فما الحرية إلا الاستعلاء بالعقيدة على جبروت المتجبرين وطغيان الطغاة. والاستهانة بالقوة المادية التي تملك أن تتسلط على الأجسام والرقاب وتعجز عن استذلال القلوب والأرواح"[47].

فلم يغفل سيد قطب عن خطورة ممارسة هذه السياسة في تغييب الوعي واغتصاب العقول على الشعوب، التي يقود الأمة إلى الرضا عن سياسة الأمر الواقع، وتجبرها للتعايش معه، فلا بد من يقظة للوعي والخروج بالمجتمع من وحل الجهل ومستنقع الضلال والتضليل.

المبحث السادس: الاتكاء على ضعف نفوس الناس

إن الطغيان والاستعباد لا يمكن أن يستقر في المجتمعات، وتكن له كلمته في الواقع، إلا إذا تقبلته نفوس الناس ورضيت به وسكتت عنه، فمهما عتى المستبدون، ومهما حاولوا استعباد الناس بشتى الطرق والأساليب، فلن يستطيعوا استعباد النفوس الحرة، التي تأبى الذل والهوان ولا تقبل الضيم، لأن الاستعباد ينتج عن سكوت وخوف وجبن وهذا لا يلتقي مع الإيمان ورفعته، يقول سيد قطب في هذا الشأن عند تفسير قوله عز وجل: **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}** [فاطر: 10]، "والعزة الصحيحة حقيقة تستقر في القلب قبل أن يكون لها مظهر في دنيا الناس. حقيقة تستقر في القلب فيستعلي بها على كل أسباب الذلة والانحناء لغير اللّه. حقيقة يستعلي بها على نفسه أول ما يستعلي. يستعلي بها على شهواته المذلة، ورغائبه القاهرة، ومخاوفه ومطامعه من الناس وغير الناس. ومتى استعلى على هذه فلن يملك أحد وسيلة لإذلاله وإخضاعه. فإنما تذل الناس شهواتهم ورغباتهم ، ومخاوفهم ومطامعهم. ومن استعلى عليها فقد استعلى على كل وضع وعلى كل شيء وعلى كل إنسان"[48]. ولهذا من انتصر على نفسه التي بين جنبيه كان على غيرها أقدر وأنجح.

ويرى سيد قطب أن ضعف الشعوب الناشئ عن جبنها وتخاذلها، جريمة ترتكبها الشعوب بحق نفسها وبحق أمتها ومجتمعها، قبل أن يُجرم بها المستبدون، فيبين في ظلال قوله تعالى: **{وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ}** [إبراهيم: 21]، أن هؤلاء الضعفاء هم الذين تنازلوا عن حريتهم الشخصية في الاعتقاد والتفكير، فجعلوا أنفسهم تبعا للباطل وأعوانا له، وهذا الضعف ليس عذرا في حقهم، بل هو جريمة في ظل الدعوة الإلهيه للعزة والأنفة لما يحمل المؤمن من الإيمان، كما أن القوة المادية لا تستطيع أن تسيطر على الإنسان وتستعبده، وقصارى ما

تملكه تلك القوة هو الجسد فتعذبه وتنكل به، أما الروح والعقل فيسمو ويستعلى على تلك العذابات كلها، فلا يستطع أحد أن يحبسهما أو أن ينكل بهما. فهذا الضعف والخور هو الذي جعل منهم ودفعهم أن يكونوا تبعا للمستكبرين والطغاة ويوافقونهم على مبادئهم وعقيدتهم وسلوكهم، وهذا الضعف هو الذي جعل الكثرة تخضع للقلة، ولا يمكن للطغاة أن يستذلوا الشعوب إلا برغبة من تلك الشعوب وهذه الرغبة سببها ضعف الروح وسقوط الهمة والتنازل عن كرامة المؤمن والتزامه. فالذل لا ينشأ إلا عن قابلية له في نفوس أصحابه وهي ما يعتمد عليه الطغاة في الاستعباد(49). حتى تصبح تلك الرغبة التي نتجت من ضعف نفوسهم وكأنها هي الحقيقة بعينها بل ويُدافع عنها؛ لأنهم قد استمرؤوا الذل والهوان وكأنه سجية في الطبع والسلوك.

والشيطان يقدم خدماته لهؤلاء المستبدين؛ لما له من مصلحة في انتفاش الباطل والطاغوت، فينفخ في صور هؤلاء الطغاة ليُضخمها ويكبرها في نفوس الجماهير الذليلة، فيزيدها استسلاما وذلا، فيبين سيد قطب في ظلال قوله تعالى: **{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** [آل عمران: 175]، أن من مصلحة الباطل تضخيم الشر وبلوغ ذروته في مواجهة الحق وأتباعه، حتى لا يقف في وجهه معارضة ولا يصمد أمامه أحد، فيظهر أمام الناس قويا قادرا قاهرا جبارا، يفرض الخوف والرهبة وينشر الإرهاب والبطش، فيفعل أولياؤه ما تقر به عينه، من قلب الحقائق ونشر الفساد والضلال، وإخفات صوت الحق والعدل، وجعل هؤلاء الطغاة آلهة في الأرض تحمي الشر وتقتل الخير، دون أن يجرؤ أحد على مناهضتهم وطردهم من مقام القيادة والسيادة(50). فالشيطان وأتباعه هم حزب واحد في الإضلال والغواية، وأولياؤه هم المنافقون الذين يتولاهم الشيطان ويتخذهم أعوانا له على نشر الفساد والشر ومحاربة الخير والإصلاح(51).

ولا بد من وجود نفوس تكون مثلا يحتذى بها في الصبر والثبات، وقوة العزيمة والجأش، فلا يتزلزل إيمانها، ولا ترتعد فرائسها من رؤية انتفاخ الطاغية التي قد مارس كل ألوان الأذى والكفر والغرور، فهاهم القلة المؤمنة التي رأت قارون الطاغية قد خرج في زينته وجبروته

وعظمته، فلم يعلق في نظرها بريق الذهب والمال، ولم يتغلغل في ضميرها اليأس والخوف، فثبتت على الإيمان وانتصرت القلوب المؤمنة ورجحت عزة الإيمان في كفة الميزان، ويقول سيد قطب في ظلال قوله تعالى:**{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}** [القصص: 83] واصفا إياهم: "فلا يقوم في نفوسهم خاطر الاستعلاء بأنفسهم لأنفسهم ولا يهجس في قلوبهم الاعتزاز بذواتهم والاعتزاز بأشخاصهم وما يتعلق بها. إنما يتوارى شعورهم بأنفسهم ليملأها الشعور باللّه ، ومنهجه في الحياة. أولئك الذين لا يقيمون لهذه الأرض وأشيائها وأعراضها وقيمها وموازينها حسابا. ولا يبغون فيها كذلك فسادا. أولئك هم الذين جعل اللّه لهم الدار الآخرة. تلك الدار العالية السامية. «وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» الذين يخشون اللّه ويراقبونه ويتحرجون من غضبه ويبتغون رضاه"[52].

فالمؤمن الذي يحمل عبء الدعوة إلى الله لا بد له من صفات تؤهله لحمل تلك الرسالة والثبات عليها وقد بين سيد أن من أهمها تلك النفسية الإيمانية الراقية التي لا تعلق في فكرها ولا في عينها متاع الدنيا الزائل وملذاتها الهابطة، فالدنيا بما فيها من متاع فانية، تنقضي وتزول في ثانية.

المبحث السابع: المال

استعباد الشعوب هو عبارة عن منظومة متكاملة، تسير في الاتجاهات كلها؛ لتحقيق مآربها، ولعل من أهم تلك الوسائل؛ استخدام المال الذي يعد عصبا رئيسا لأي قوة سياسية أو دولة أو نظام يريد بسط نفوذه على الشعوب والمجتمعات. ولهذا يستغل الطغاة المال كورقة ضغط لاستذلال الناس واستعبادهم، سواء بالإغراء، أو الإغواء، أو استغلال حاجة الناس لأموالهم، فيفضون بالأموال على من يعاونهم، ويقتّرونه أو يمنعونه عمن يخالفهم، كما فعلت قريش بفرض الحصار على النبي ﷺ وأتباعه في شعب أبي طالب[53]، وقد كانت هذه إحدى سياسات فرعون في طغيانه واستعباده، وقد تنبه موسى عليه السلام لخطورة هذه الأداة في الاستبداد، فدعا الله عز وجل أن يطمس على أموال فرعون، فقال تعالى: **{وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ**

عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [يونس: 88]، فيبين سيد قطب في ظلال هذه الآية، أن هذا المال في يد الطغاة مظهر من مظاهر القوة والغلبة، الذي يعد من مظاهر النعم في نفوس الآخرين، فينشأ عنه إضلال الناس عن سبيل الله، ويجعلهم قادرين على استعباد وإذلال الناس وإغوائهم، ولهذا طلب موسى عليه السلام من ربه تجريد الطغاة والقوى الباغية من هذا المال، ومن وسائل البغي والإغراء بأن يطمسها ويدمرها فلا ينتفع بها أصحابها[54].

ويرى سيد قطب أن السيطرة على المال من خلال النظام الربوي هو ركيزة أساسية للاستبداد والاستعباد؛ لأن النظام الربوي يؤدي إلى تكديس أموال البشر في أيدي أصحاب رؤوس الأموال وهم فئة قليلة في المجتمع، ثم هم من خلال هذا المال وسطوته يتحكمون في البشر، بل ويتحكمون في الدول والحكومات وإدارتهم، فهم بوساطة سيطرتهم على المال ينتقلون إلى السيطرة على الاقتصاد ثم الإعلام ثم سياسات الدول، يقول سيد قطب في تفسير آيات الربا في سورة البقرة: "... ثم ينشئ في النهاية نظاما يسحق البشرية سحقا، ويشقيها في حياتها أفرادا وجماعات ودولا وشعوبا، لمصلحة حفنة من المرابين ويحطّها أخلاقيا ونفسيا وعصبيا، ويحدث الخلل في دورة المال ونمو الاقتصاد البشري نموا سويا، وينتهي – كما انتهى في العصر الحديث – إلى تركيز السلطة الحقيقة والنفوذ العملي على البشرية كلها في أيدي زمرة من أحطّ خلق اللّه وأشدهم شرا وشرذمة ممن لا يرعون في البشرية إلّا ولا ذمة،... وهم لا يملكون المال وحده، إنما يملكون النفوذ... فإنهم بطبيعة الحال يستخدمون هذا النفوذ الهائل الذي يملكونه في إنشاء الأوضاع والأفكار والمشروعات التي تمكنهم من زيادة الاستغلال"[55]. فتصبح ثروات المجتمع كلها بيدهم، وترجع لهم الحصيلة الحقيقية لجهد الشعوب وعرقهم، مما يزيدهم في استعباد البشرية ورضوخهم واستسلامهم لقوة نفوذهم وعظمة مالهم، فلا يقف أحد منهم في طريق جشعهم وخسة أهدافهم، ولهذا نجد أن سيد قطب قد بين العلاقة الوطيدة بين المال في يد الزمرة الحاكمة، وبين بسط النفوذ والسيطرة على الشعوب والمجتمعات ومقدراتها.

ونرى في واقعنا المعاصر، كيف أن الحكومات التي تقترض قروضا ربوية، ثم لا تستطيع سدادها، كيف تصبح تلك الحكومات وشعوبها ألعوبة بيد الدول الرأسمالية الكبرى، يتحكمون في مناهجهم الدراسية، مقابل تأجيل سداد القروض، وتحت وطأة الدين الربوي يبتزون منهم المواقف السياسية والقرارات، بل ويتدخلون في النظام الاجتماعي لتفسيخ الأسرة وتضييع الجيل، فإذا ما رفضت تلك الحكومات تدخل الدول الرأسمالية، فما أسهل أن تستغل أذرعها ومنظومتها الخبيثة؛ لإشعال الفتن الداخلية في تلك البلاد التي ترفض إملاءاتها، أو أن تستبدل حكومة سابقة، بحكومة جديدة تابعة للنظام الغربي الرأسمالي التي تنفذ أحكامه ولا تملك من القرار شيئا، وهذا كله لون من ألوان استبداد العالم الرأسمالي بالدول الفقيرة، واستبداد أصحاب رؤوس الأموال المحليين بشعوبهم ومواطنيهم، ومختصر الكلام أن العالم الغربي الذي يتبجح بإنهاء العبودية، نقل الشعوب إلى عبودية من لون آخر، هي العبودية له بوساطة النظام الربوي، يقول سيد قطب رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: **{فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ }** [البقرة: 279]، "هذه الحرب معلنة في صورتها الشاملة الداهمة الغامرة وهي حرب على الأعصاب والقلوب، وحرب على البركة والرخاء، وحرب على السعادة والطمأنينة ... الحرب الساحقة الماحقة التي تقوم وتنشأ من جراء النظام الربوي المقيت، فالمرابون أصحاب رؤوس الأموال العالمية هم الذين يوقدون هذه الحروب مباشرة أو عن طريق غير مباشر، وهم يلقون شباكهم فتقع فيها الشركات والصناعات، ثم تقع فيها الشعوب والحكومات، ثم يتزاحمون على الفرائس فتقوم الحرب، أو يزحفون وراء أموالهم بقوة حكوماتهم وجيوشها فتقوم الحرب، أو يثقل عبء الضرائب والتكاليف لسداد فوائد ديونهم، فيعم الفقر والسخط بين الكادحين والمنتجين، فيفتحون قلوبهم للدعوات الهدامة فتقوم الحرب"[56].

ومن هنا أظهر لنا سيد قطب أهمية المال في يد الطغاة، الذي يكمن في شراء الضمائر والعقول، والأفكار والأقلام لتصبح كلها أبواقا للباطل، ومنافحا عنه ومبررا لأعماله، وحتى يتم التخلص من هذه الأداة والوسيلة في ثبيت الباطل وأركانه، لا بد من تجفيف ينابيع الأموال لديه

وعدم التبعية للباطل فيها، وإيجاد استقلالية مالية لدى دعوات الإصلاح لا ترجع فيها لإدارة الباطل وحزبه.

المبحث الثامن: إشاعة الفاحشة والرذيلة في المجتمع

لا شيء أشد إيلاما بالنفس الإنسانية من الظلم والطغيان والقهر والاستعباد، والطغاة يعلمون ذلك، ويدركون أن آلام الظلم، وسياط الاستعباد، قد تتحول في يوم من الأيام إلى ثورة تقلب عليهم عروشهم وملكهم، وهم لذلك يلجؤون إلى وسائل لتخدير الشعوب، حتى لا تشعر بآلام الظلم والاستبداد وتنساه أيما نسيان، ولعل من أكثر الوسائل نجاعة، وأعظمها أثراً في تفكك الأمم والمجتمعات، هو تخدير الشعوب بإشاعة الفواحش والمنكرات ونشر ثقافة العري والاختلاط والمجون، وإشاعة المحرمات والزنا، بشتى الوسائل والطرق من إعلام وجمعيات ومؤسسات تقوم بهذا الدور الخبيث، وقد بين لنا القرآن خطر نشر الفاحشة، ونهانا عن ذلك، فقال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}** [النور: 19].

إذ إن الإنسان الغارق في أوحال الشهوة، والمتعلق بها لا توقظه سياط الظلم، ولا ويلاته ولا عذاباته، مما يجعله يتنازل عن الحرية الحقيقية في مقابل أن تُحفظ له الحرية البهيمية في تلبية الشهوة وغرائزها وإشباعها، يقول سيد قطب رحمه الله: "السمة الأولى للجاهلية في كل زمان... هي الفوضى الجنسية، والانطلاق البهيمي، بلا ضابط من خلق أو قانون. واعتبار هذه الاتصالات الجنسية الفوضوية مظهرا من مظاهر «الحرية الشخصية»... ولقد يتسامح الجاهليون في حرياتهم «الإنسانية» كلها، ولا يتسامحون في حريتهم «البهيمية» هذه... وفي المجتمعات الجاهلية تتعاون جميع الأجهزة على تحطيم الحواجز الأخلاقية، وعلى إفساد الضوابط الفطرية في النفس الإنسانية، وعلى تزيين الشهوات البهيمية ووضع العناوين البريئة لها، وعلى إهاجة السعار الجنسي بشتى الوسائل... إن الجاهليين – في كل زمان وفي كل مكان – يندفعون إلى الهاوية، ويقبلون أن يفقدوا حرياتهم «الإنسانية» كلها أحيانا ، ولا يقبلون أن يقف حاجز واحد في طريق حريتهم «البهيمية» ويرضون أن يستعبدوا استعباد العبيد، ولا

يفقدوا حق الانطلاق الحيواني"[57]. وبهذا نجده قد ربط بين إطلاق العنان للحرية البهيمية، وما تسوق إليه من الاستعباد والسيطرة على الشعوب والتحكم بهم، وهو بذلك قد وافق ابن عاشور الذي بين فضل العلم على ما سواه من أنه "يفيد ترقية المدارك البشرية، وصقل الفطر الطيبة، لإضاءة الإنسانية وإظهارها في أجمل مظاهرها، فيخرج صاحبها من وصف الحيوانية البسيط_ وهو الشعور بحاجة نفسه خاصة_ إلى ما يفكر به في جلب مصلحته ومصلحة غيره، بالتحرز من الخلل والخطأ، قدرَ الطاقة، وبحسب منتهى المدنية في وقته[58]. فلا بد من العلم والوعي بخطورة الانزلاق في مهالك الرذيلة والفاحشة ومدى تأثيرها في ضياع شباب الأمة ومستقبلها.

وقد حثنا الإسلام على ستر الفاحشة وعدم نشرها وأوجب ذلك؛ حتى لا تصبح وكأنها أمر متعارف عليها وتتناقله الألسن في الطرقات والجلسات دون بينة وإثبات، وعد ذلك من الأخلاق الفاضلة الطيبة التي ينبغي للمسلم أن يتخلق بها قال تعالى: **{لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا}** [النساء: 148]، فكل ما كان سيئا من القول لا يجوز الجهر به وهو أمر لا يحبه الله ولا يرضاه إلا في حالة ظلم ترفعه عن نفسك، والتجسس والتفتيش عن عيوب الناس، وتتبع عوراتهم من الأمور التي نهانا عنها الإسلام الحنيف؛ لما يورث في المجتمع التناحر والتباغض، قال تعالى: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}** [الحجرات: 12]، "والتجسس قد يكون هو الحركة التالية للظن وقد يكون حركة ابتدائية لكشف العورات، والاطلاع على السوءات. والقرآن يقاوم هذا العمل الدنيء من الناحية الأخلاقية، لتطهير القلب من مثل هذا الاتجاه اللئيم لتتبع عورات الآخرين وكشف سوآتهم. وتمشيا مع أهدافه في نظافة الأخلاق والقلوب. ولكن الأمر أبعد من هذا أثرا. فهو مبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسية في نظامه الاجتماعي، وفي إجراءاته التشريعية والتنفيذية. إن للناس حرياتهم وحرماتهم وكراماتهم التي لا يجوز أن تنتهك في صورة من الصور، ولا أن تمس بحال من الأحوال. ففي المجتمع

الإسلامي الرفيع الكريم يعيش الناس آمنين على أنفسهم، آمنين على بيوتهم، آمنين على أسرارهم، آمنين على عوراتهم. ولا يوجد مبرر – مهما يكن – لانتهاك حرمات الأنفس والبيوت والأسرار والعورات"[59]، وقد وافق سيد قطب ابن عاشور في أن التجسس يعد أثرا من آثار الظن، ومترتب عليه ولهذا حذرنا من التجسس للتحق من صدق الظن أو كذبه[60].

ولقد حذرنا الإسلام من التجسس وتتبع عورات الناس ونشرها في مواضع عدة، منها: قول النبي ﷺ: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»[61]، وروى الإمام أحمد في مسنده عن النبي ﷺ قال: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، لا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تناجشوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا"[62]

إلا أن هؤلاء المستبدين والطغاة لا يدركون معاني الأخوة الإيمانية، التي ترقى بالمجتمع وأهله عن وحل الرذيلة والفحش، فيسعون إلى إيقاع كثير من القيادات في حبال الشهوة والجنس؛ ليُحكموا السيطرة عليهم؛ واستعبادهم وإذلالهم وإيقاعهم في حبال العمالة والخيانة كما شهر عن بني صهيون وشبكاتهم الإسقاطية التي تتخذ من النساء والجنس والرذيلة، سوطا مسلطا على رقاب من وقعوا في حبالهم.

يرى سيد قطب أن الطريقة المناسبة التي تعد أكثر وقعا وأشد أثرا في مواجهة الدعاة إلى الإصلاح والدين، من قبل هؤلاء الطغاة الذين يملكون القوة والمال واستخفاف شعوبهم، هو تأليب الجماهير ضد هؤلاء الدعاة، وذلك باستثارة شهواتهم ونزواتهم، وتهديد مصالحهم، والادعاء بأن هؤلاء الدعاة يريدون حرمانهم من لذاتهم وشهواتهم"[63]. فتصبح الدعوة إلى الصلاح فساد وتخريب للمجتمع، والدعوة إلى الطهارة انحلال وتخلف أخلاقي، وهذا هو شأن الجاهلية في كل زمان ومكان، فمنذ أن قالوا لنبي الله لوط عليه السلام وبعد أن دعاهم إلى الفضيلة والعفة والحياء، والبعد عن آفة الشذوذ ومخالفة الفطرة السليمة، فقال تعالى على لسانهم: **{وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}**

[الأعراف: 82]، فهذا هو مصير كل داعية إلى فضيلة ومحارب لكل رذيلة، في زمان انقلاب الموازين، و"يا عجبا! أو من يتطهر يخرج من القرية إخراجا، ليبقى فيها الملوثون المدنسون؟! ولكن لماذا العجب؟ وماذا تصنع الجاهلية الحديثة؟ أليست تطارد الذين يتطهرون، فلا ينغمسون في الوحل الذي تنغمس فيه مجتمعات الجاهلية – وتسميه تقديمة وتحطيما للأغلال عن المرأة وغير المرأة – أليست تطاردهم في أرزاقهم وأنفسهم وأموالهم وأفكارهم وتصوراتهم كذلك ولا تطيق أن تراهم يتطهرون؛ لأنها لا تتسع ولا ترحب إلا بالملوثين الدنسين القذرين؟! إنه منطق الجاهلية في كل حين!!"[64]. وقد وافق سيد قطب تفسير المنار الذي يرى صاحبه أن سبب هذا المنطق في الجاهلية في محاربة الطهر والعفاف، لأنهم قد رأوا من يمتنع عن مشاركتهم في الفحش والرذيلة، وقد اعتلوا على ذلك بإيمانهم مما لا يملكونه هم، فأصبح لا سبيل لمعاشرتهم وهم على الطهر والنقاء، ولا مساكنتهم وهم على هذا الإيمان الرادع، فالناقص يستثقل من معاشرة الكامل الذي يحتقره ويحاربه، فلا بد من الطرد والإخراج[65].

ومن هنا يظهر لنا خطورة نشر الفاحشة والرذيلة في المجتمع المسلم، وأثر ذلك على الفرد والمجتمع، من تفكك للأسر وفساد في شباب الأمة وضياع لمستقبلهم، مما يحكم السيطرة عليهم من قبل أعداء الأمة، فهؤلاء الطغاة يستغلون تلك الشهوات والانحرافات السلوكية والفطرية، ويعملون على نشرها؛ للمحافظة على مصالحهم ومآربهم الخاصة، وسيطرتهم الكاملة على الشعوب والمجتمع، ونهب خيراته ومدخراته. ولهذا لا بد من يقظة الضمير بالإيمان وغرس معالم الخوف من الله في شباب الأمة، وخلق الحياء والحشمة لدى الفتيات؛ حتى لا يقعوا جميعا في مستنقع الرذيلة والفاحشة، ويصبحوا فريسة سائغة في يد الطغاة والجبابرة.

المبحث التاسع: نشر الخرافات والشركيات

معظم الطغاة المستعبدين لشعوبهم، يشتركون في ادعاء حق التشريع من دون الله، وهو لون من ألوان ادعاء الإلوهية، وبعضهم فاق هذا وتبجح فادعى أنه إله يُعبد من دون الله، كما فعل فرعون الطاغية: (أنا ربكم الأعلى)، وبعضهم كان يستتر وراء الأصنام، حتى يُعطي حكمه وقوانينه مزيدا من القداسة، ويضفي عليها صبغة الألوهية، فالأصنام عاجزة صامتة، والمستبد

يقف خلفها يجعلها تنطق بما يريد، فيتخذها وسيلة لتثبيت حكمه، وترسيخ استبداده واستعباده لشعبه.

يقول سيد قطب رحمه الله في صدد حديثه عن دعوة الإسلام: "أنها كانت دعوة إلى انقلاب اجتماعي، أرادت في أول ما أرادت أن تقطع دابر الذين تسنموا ذروة الألوهية واستعبدوا الناس بحيلهم ومكايدهم المختلفة. فمنهم من تبوأ مناصب السدنة والكهان ومنهم من استأثر بالملك والإمرة ، وتحكم في رقاب الناس ومنهم من استبد بمنابع الثروة وخيرات الأرض، وجعل الناس عالة عليهم، يتكففون ولا يجدون ما يتبلغون به، فأرادت دعوة الإسلام أن تقطع دابرهم جميعا، وتستأصل شأفتهم استئصالا، وهؤلاء تارة تسنموا قمة الألوهية جهرا وعلانية، وأرادوا أن يقهروا من حولهم من الناس على أن يذعنوا لأمرهم وينقادوا لجبروتهم؛ مستندين إلى حقوقهم التي ورثوها عن آبائهم أو استأثرت بها الطبقة التي ينتمون إليها فقالوا: «ما علمت لكم من إله غيري» .. و«أنا ربكم الأعلى» .. و«أنا أحيي وأميت» .. و«من أشد منا قوة؟»... وطورا استغلوا جهل الدهماء وسفههم ، فاتخذوا من الأصنام والتماثيل والهياكل آلهة، يدعون الناس ويريدونهم على أداء مظاهر العبودية أمام هذه التماثيل والهياكل متوارين بأنفسهم من ورائها، يلعبون بعقول الناس، ويستعبدونهم لأغراضهم وشهواتهم وهم لا يشعرون"[66].

ويزيد الأمر وضوحا فيقول: "فالأصنام ليست سوى شعارات للطاغوت، يتخفى وراءها لتعبيد الناس باسمها، وضمان دينونتهم له من خلالها، إن الصنم لم يكن ينطق أو يسمع أو يبصر، إنما كان السادن أو الكاهن أو الحاكم يقوم من ورائها يتمتم حولها بالتعاويذ والرقى، ثم ينطق باسمها بما يريد هو أن ينطق لتعبيد الجماهير وتذليلها"[67]. وكلها طرق متنوعة في إثبات نوع من القداسة لأعمالهم بحيث تضفي شرعية لهم في استعبادهم للشعوب ونهب خيراتهم وخيرات مجتمعهم.

الخاتمة:

1) الاستعباد من العبودية وهي في اللغة لها أصلان: الأول بمعنى الذل والخضوع واللين والآخر بمعنى القوة والصلابة، وما يهمنا في هذا البحث هو المعنى الأول.

2) استعبد تأتي على صيغة استفعل وهي تفيد في اللغة معنى التكلف واستدعاء الشيء وتحصيله بالطلب، وتأتي بعنى صار وتحقق، وكل هذه المعاني تتحقق في معنى استعباد الناس.

3) من أهم ما تميز به تفسير الظلال معالجته لكثير من القضايا الاجتماعية؛ لأن القرآن هو دستور الأمة وهو كتاب هداية للبشرية وفيه خلاص الأمة من كل ما هي فيه من الوهن والضعف والاستعباد.

4) بين سيد قطب أن لكل نظام مستبد وحاكم جائر أدوات يستخدمها لتثبيت أركانه وسطوته، فيقربها إليه ويغدق عليهم بركاته وأمواله.

5) بين سيد في ظلاله أن محاربة الإسلام والدعاة له من أعظم أولويات الأنظمة المستبدة؛ لما يدعو إليه من حرية للأفراد والمجتمعات والتي منطلقها عقيدة التوحيد التي تمثل ثورة في وجه الاستعباد والاستبداد.

6) ذكر الظلال أنه في حال فشل المستبدين في محاربة الدين يلجؤون لطريق خبيث في محاربته عن طريق تمييع معتقداته والتعلق بقشوره وترك جوهره. وهذا لا يكون إلا عن طريق علماء السلاطين الذين يفتون كما يريد الطاغية ويقرونه بما يفعل.

7) من أدوات الاستعباد عند سيد قطب سياسة التجهيل وتغييب العقل لدى الشعوب وإلهاؤها بأشياء لا قيمة لها ولا فائدة مرجوة له من الأسلحة التي يستخدمها الطغاة في استعباد الشعوب، ولهذا لا بد للعلم والعقل أن يأخذ موقعه في المجتمع وتكون له الكلمة في الواقع.

8) ركز الظلال على معنى مهم وهو أن الذي يفشل في معركته مع نفسه وشهواته، لا ينتصر في معركته مع مستعبده، فلا بد أن يتحرر من كل العبوديات كلها سوى عبوديته لخالقه.

9) بين الظلال أن من أخطر الصفات التي يستغلها الطغاة في استعبادهم للشعوب، ضعف النفوس والخوف من المواجهة وقلة الإرادة في التغيير واستمراء الذل والعبودية.

10) من أهم أسباب الاستعباد وأدواته كما يرى سيد قطب المال وشدة الحاجة إليه، والتعلق به لما له من الأثر البالغ في شراء النفوس والعقول والأقلام، التي تلهج بذكر الطاغية وتمجيد فعله.

11) المسلم واجب في حقه الستر على المسلم وعدم فضحه، وعدم نشر الرذيلة وأخبارها في المجتمع؛ حتى لا تصبح المعصية وكأنها ظاهرة طبيعية مألوفة عند أفراد المجتمع.

الهوامش

([1]) مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج(ت:261هـ): **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى ﷺ**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، حديث رقم:(2577)، باب تحريم الظلم، (1994/4).

([2]) البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه =** صحيح البخاري، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط1) 1422هـ، حديث رقم: (1739)، باب الخطبة في أيام منى، (2/ 176).

([3]) انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن فارس(ت:1396هـ): **الأعلام**، الناشر: دار العلم للملايين، (ط15) أيار / مايو 2002م، (147/3)، وانظر: نويهض، عادل نويهض، **معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»**، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، (ط3) 1409 هـ ، 1988 م(219،220/1)، انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، (ص15،17).

([4]) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ص67،80.

([5]) انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **مدخل إلى ظلال القرآن**، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية،(ط1) 1886م، (ص24)، انظر: الخالدي: **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**،(ص15،17).

([6]) انظر: قطب، سيد قطب إبراهيم، **في ظلال القرآن** . موافقا للمطبوع، دار النشر: دار الشروق . القاهرة، (**28/1**).

([7]) انظر: عباس، فضل حسن: **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**، دار النفائس، الأردن، (ط1) 2016م، (366/2، 408،418).

([8]) الخالدي: **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، (547).

([9]) قطب: **في ظلال القرآن**، (1/ 348).

(10) انظر: عباس: **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**،(368/2).

([11]) قطب، سيد قطب إبراهيم: **التصوير الفني في القرآن الكريم**، دار الشروق، القاهرة، (ط17)1425هـ، (ص36).

([12]) انظر: عباس: **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**،(477/1).

([13]) انظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء (ت:395هـ): **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ ، 1979م، (205،206/4)، وانظر: ابن منظور،:محمد بن أكرم الإفريقي(711هـ): **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، (ط3) 1414 هـ، (273،274/3).

(14) انظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء: **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، الناشر: محمد علي بيضون، (ط1) 1418هـ،1997م، (ص170)، وانظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل(ت:429هـ): **فقه اللغة وسر العربية**، المحقق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، (ط1) 1422هـ ، 2002م، (ص258).

([15]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**،(2340/4)، وانظر: (1311/3).

([16]) الطبري، محمد بن جرير: **تاريخ الطبري**، دارت التراث، بيروت، (ط2) 1387هـ، (3/ 520).

([17]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (1403/3).

([18]) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني(ت:275هـ)، **سنن أبي داود**، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، رقم الحديث:(4344)، باب الأمر والنهي، (124/4)، حكم الألباني: صحيح.

([19]) قطب: **في ظلال القرآن**، (3/ 1347،1346).

([20]) قطب: **في ظلال القرآن**، (3/ 1435).

([21]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (3/ 1754).

([22]) قطب: **في ظلال القرآن**، (2/ 890، 891).

([23]) قطب: **في ظلال القرآن**، (912/2).

([24]) قطب: **في ظلال القرآن**، (3/ 1434، 1435).

([25]) انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (1052/2).

([26]) انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (1221/3).

([27]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (4/ 1872).

([28]) الترمذي: محمد بن سورة (ت:279هـ): **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي(جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، (ط2) 1395 هـ ، 1975 م، رقم الحديث:(2398)، باب ما جاء في الصبر على البلاء، (601/4)، حكم الألباني: حسن صحيح.

([29]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (3/ 1449).

([30]) قطب: **في ظلال القرآن**، (2/ 897).

([31]) انظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت:1332هـ): **محاسن التأويل**، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، (ط1) 1418 هـ، (545/7).

([32]) مسلم، **صحيح مسلم**: رقم الحديث:(1905)، باب من قاتل للرياء والسمعة، (3/ 1513).

([33]) أبو داود، سليمان بن الأشعث(ت275هـ): **سنن أبي داود**، المحقق: شعَيب الأرنؤوط ، مَحَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، (ط1) 1430 هـ ، 2009 م، رقم الحديث:(2860)، باب في اتباع الصيد، (481/4)، حكم المحقق: حسن لغيره.

([34]) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: (2259)، باب، (525/4) حكم الألباني: صحيح.

([35]) الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم (ت:360هـ): **الروض الداني (المعجم الصغير)**، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، عمان، (ط1) 1405 – 1985،رقم الحديث: 564، (340/1).

([36]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (1/ 68).

([37]) قطب: **في ظلال القرآن**، (2/ 897).

([38]) قطب: **في ظلال القرآن**، (1403/3).

([39]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (3/ 1349).

([40]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (3/ 1398).

([41]) قطب: **في ظلال القرآن**، (1/ 292).

([42]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (5/ 3194).

([43]) انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس(ت:1390هـ): **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي ، القاهرة، (146/13).

([44]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (5/ 2593).

([45]) قطب: **في ظلال القرآن**، (320/1).

([46]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (1349/3).

([47]) قطب: **في ظلال القرآن**، (3/ 1351، 1352).

([48]) قطب: **في ظلال القرآن**، (5/ 2931).

([49]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن** . (4/ 2096).

([50]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (1/ 521).

([51]) انظر: الخطيب: **التفسير القرآني للقرآن**، (645/2).

([52]) قطب: **في ظلال القرآن**، (2714/5).

([53]) انظر: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت:458هـ): **السنن الكبير(الكبرى)**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (د، عبد السند حسن يمامة)، (ط1) 1432 هـ ، 2011 م،(342/13).

([54]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (3/ 1817).

([55]) قطب: **في ظلال القرآن**، (320/1).

([56]) قطب: **في ظلال القرآن**، (331/1).

([57]) قطب: **في ظلال القرآن**، (1/ 601،602).

([58]) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي(ت:1393هـ): **مقاصد الشريعة الإسلامية**، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: 1425 هـ ، 2004 م، (203/1).

([59]) قطب: **في ظلال القرآن**، (3345/6).

([60]) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد: **التحرير والتنوير** «**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**»، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ، (253/26).

([61]) الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث:(2032)، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، (378/4)، حكم الألباني: صحيح.

([62]) أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل(ت:241هـ): **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (ط1) 1421 هـ ، 2001 م، (247/13)، حكم الأرنؤوط: حديث إسناده صحيح على شرط الشيخين.

([63]) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (4/ 2036).

([64]) قطب: **في ظلال القرآن**، (3/ 1316).

([65]) انظر: رضا، محمد رشيد رضا (ت:1354هـ): **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م،(455،456/8).

([66]) قطب: **في ظلال القرآن**، (3/ 1448).

([67]) قطب: **في ظلال القرآن**، (4/ 2115).